المحاضرة 03

نشأة الحضارة العربية الإسلامية

01/ واقع العرب قبل ظهور الإسلام:

كانت مكة قبل الإسلام مركز للتجارة في شبه الجزيرة العربية، حيث كان يقصدها كل تجار القرى المجاورة، وعرفت نوعا من النظام السلطوي سمي مجلس الشورى حيث كان يجمع صفوة أهل مكة للتشاور في الشؤون العامة والخاصة، وكل ما عرفته الجزيرة العربية قبل الإسلام من حضارات لم يكن يتسم بطبيعة شاملة، ولا مظهر حضاري جامع، فكل ما ظهر عندهم كان يتسم بطبيعة محلية غلبت عليها الثقافات المجاورة وطبعتها بطابعها، ومن أهمها ما ظهر في الحجاز واليمن على طول الساحل الغربي أين تمتد الأراضي الخصبة، وهي الفترة التي يطلق عليها المؤرخون "العصر الجاهلي" المشتقة من لفظ الجاهلية، والتي تعني الجهل الأخلاقي والأنفة والعصبية والمفاخرة، وليس الجهل كما يعتقد البعض. فطباع وأخلاق العرب قبل الإسلام كانت سيئة، يسودها الانحلال الخلقي وانتشار الرذائل والعبودية وغيرها، فلم تتهذب إلا بعد مجيء الإسلام ونشر مبادئه السامية.

02/ وضع أسس وقواعد الدولة الإسلامية:

يعتبر بناء مسجد المدينة "المسجد النبوي" بداية تأسيس الدولة الإسلامية، حيث أصبح نقطة الالتقاء بالنسبة لأهل المدينة من المهاجرين والأنصار، وأصبح مصدر إشعاع ديني وثقافي واجتماعي واقتصادي، فقد ربط بين المسلمين برابطة الأخوة في الإسلام بدل رابطة الدم، ثم أصدر الرسول صل الله عليه وسلم دستور المدينة أو الصحيفة والبيان السياسي الذي أصبح بموجبه رئيسا سياسيا لهذا المجتمع الجديد، وحدد هذا الدستور العلاقة بين المهاجرين والأنصار وسكان المدينة من الديانات الأخرى، فشرعت حرية الممارسة الدينية فاعتبرت اليهود أحرارا في اعتقادهم وعبادتهم، وحل بموجب هذه الوثيقة مفهوم الأمة عوض مفهوم القبيلة، وأصبح حل المنازعات والخصومات يقوم على الوسائل السلمية بعيدا

عن التعصب القبلي الجاهلي، فقضى بذلك على الشقاق الداخلي وظاهرة الثأر في الأمة الإسلامية كما فرض دستور المدينة على جميع سكانها واجب الدفاع ضد التهديدات والاعتداءات الخارجية.

فالنبي صل الله عليه وسلم نظم وترأس السلطات التنفيذية والقضائية والدينية في حين السلطة التشريعية تمثلت في نصوص القرآن وما ينزل من وحي، ورغم مكانة الرسول صل الله عليه وسلم إلا أنه لم يكن ينفرد بالقرارات المهمة، فقد أقر مبدأ "الشورى" حيث كان يستشير الصحابة في الأمور الدنيوية التي لم يرد فيها نص قرآني، كما أرسى مبدأ العدالة والمساواة بين الناس، فلا فرق على أساس الجنس أو اللون أو اللغة، فالكل سواسية لهم نفس الحقوق والواجبات.

وسميت بالحضارة العربية الإسلامية لكون لغتها العربية، ولكون الإسلام وقيمه أساسها وقوامها الفكري، حيث وجه سائر مظاهرها في مسارات منسجمة مع أحكامه، فاللغة العربية هي اللغة الأساسية لهذه الحضارة رغم أنها امتدت الى الشعوب الهندية والتركية وغيرها، غير أن أصل الحضارة هو الدين الإسلامي، فتعاليم هذا الدين (الكتاب والسنة) هي التي نقلت العرب من الظلام والجهل الى نور العلم والحرية والمساواة، وذلك رغم ان المسلمون تأثروا بالحضارات التي سبقتهم، مثل الحضارات القديمة كالفارسية والهندية واليونانية والرومانية، فقد اخذ المسلمون البعض من ايجابياتها وقاموا بتغيير وتصحيح بعض ثمارها، وأضافوه الى الحضارة الإسلامية بطابعها الخاص والمميز.

وأعطى الإسلام قيمة كبيرة للعلم، وحث على طلب العلم والتربية الصحيحة، حيث أن أولى آيات القرآن الكريم شجعت على العلم قال تعالى: "إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم" سورة العلق 1-4 ، واهتم الخلفاء الراشدون بالعلم والعلماء، فقد كانت البيئة الإسلامية أساسا لنهضة علمية في كل فروع العلم والمعرفة، فتقدمت العلوم التي كانت تقوم على الخرافات، وتقدمت الصناعة والزراعة والحرف، وتطورت نظم الحياة الاجتماعية وازدهرت التجارة، فأصبحت الأمة الإسلامية نموذجا يتوهج نورا في كل نواحي نشاطها الفكري والعقلي والعمراني، وذلك بازدهار العلوم والمعارف والفنون، فأصبحت مصدر إشعاع للحضارات

التي جاءت بعدها بقرون عديدة، لذلك كانت الحضارة العربية الإسلامية أعظم حضارات العصور الوسطى دون منازع، وحضارة إنسانية متكاملة لم تشهدها البشرية من قبل ومن بعد، فهي حضارة جمعت بين رقي الروح والأخلاق التي مصدرها الدين الإسلامي، وبين الإنتاج المادي والعمراني الذي بقي شاهدا الى يومنا هذا على عظمة هذه الحضارة في جنوب أوروبا.

الحضارة العربية الإسلامية حضارة متميزة بمقوماتها وبخصائصها، فهي ليست حضارة عابرة أو محلية أو ثانوية كغيرها من الحضارات، وليست محدودة الزمان والمكان فهي حضارة شاملة غيرت مجرى التاريخ وغيرت أسلوب حياة البشرية، فلها فضل كبير في إخراج البشرية من ظلام الجهل إلى النور، ولكن الاهتمام بإحياء تراثها ودراستها من طرف المسلمين اليوم محدود جدا، فقد تعرضت للتهميش والتزوير من طرف الغربيين، مقابل تمجيد الحضارة الرومانية التي غلب عليها الإنتاج المادي دون الإنتاج الفكري والأخلاقي الذي تفوقت فيه الحضارة الإسلامية بامتياز.